مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص227 – ص 258
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

المؤرخ عبد القادر زبادية وجهوده في الدراسات الإفريقية بالجزائر

Historian Abdelkader Zebadia and his efforts in African studies in Algeria

الطاهر خالد [1]
جامعة المسيلة (الجزائر)
tahaerkhaled@gmail.com

Abstract:

This study seeks to present the most prominent and pioneering Algerian historians who knew the history of sub-Saharan Africa to researchers from the Algerian University pulpit, the late Professor Abdelkader Zebadia El Mujahid, researcher and historian specializing in African studies. As he worked as a professor in the most prestigious Algerian, Arab and European universities, he spent more than five decades of his life giving, between teaching, framing, and scientific and administrative responsibilities. Leaving behind a scientific legacy that enriched Algerian, Arab and African libraries, characterized by the robustness of its historical, methodological and cognitive content and the diversity of its topics. Through which he revealed his interest in African issues and affairs, he was thus an encyclopedia for researchers interested in studying African history in Algeria.

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم أبرز المؤرخين الجزائريين السباقين الذين عرّفوا بتاريخ إفريقيا جنوب الصحر

اء للباحثين من منبر الجامعة الجزائرية، الأستاذ المرحوم عبد القادر زبادية، المجاهد والباحث والمؤرخ المتخصص في الدراسات الإفريقية. حيث عمل أستاذا في أرقى

الجامعات الجزائرية والعربية والأوروبية. فقد أمضى من حياته في العطاء ما يزيد عن خمس عقود بين التدريس والتأطير والمسؤوليات العلمية والإدارية. تاركا ورائه إرثا علميا أثرى بها المكتبات الجزائرية والعربية والإفريقية، تتميز بمتانة مضمونها التاريخي والمنهجي والمعرفي وتنوع موضوعاتها. والتي من خلالها تكشف اهتمامه بالقضايا والشؤون الإفريقية. فكان بذلك موسوعة للباحثين المهتمين بدراسة التاريخ الإفريقي بالجزائر.

الكلمات المفتاحية: عبد القادر زبادية؛ الدراسات الإفريقية؛ إفريقيا جنوب الصحراء؛ الجامعة الجزائرية.

1. مقدمة

يعتبر الأستاذ عبد القادر زبادية من أبرز المؤرخين المعاصرين في المغرب العربي، الذين وجهوا عنايتهم بالبحث والنبش في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء. فقد اندرجت جهوده واسهاماته في إبراز الدور الحضاري والفكري للعرب في دمج الأفارقة في الحضارة العربية الإسلامية، والذي ترك أثره البعيد على مجرى التاريخ، بهدف الكشف عن الشوائب وتشويه الكتابات الغربية الاستعمارية التي كانت في حقيقة الأمر مبنية في جوهرها على الاستعمار والاسترقاق والاستغلال والنهب والازدراء؛ وساعده في ذلك تجربته التكوينية والأكاديمية في الجامعات العربية والأوروبية، ناهيك عن تجربته السياسية، حيث عاش وقائع الثورة التحريرية وأحداثها، واحتك برجالها وساهم في بناء الدولة الجزائرية كمربي ومحاضر.

واعترافا منا بما أسداه لأجيال الاستقلال في حقل الأبحاث التاريخية الإفريقية من خدمات سواء في مجال التأليف أو التدريس منذ عودته إلى أرض الوطن والتحاقه بالجامعة الجزائرية. سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على ما قدمه المرحوم من محاولات جادة بمنهجه وفكره وقلمه في سبيل التعريف بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

ففي الحقيقية الأستاذ رحل عن دنيانا قبل أن يكون لنا نصيب بلقائه، لكننا اعتمدنا في سرد حياته على شذرات ما كتبه عن نفسه في مقدمات مؤلفاته أو هوامش إحالاته. أو ما التقطناه مشافهة من بعض طلابه الذين أشرف عليهم في جامعة الجزائر02.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

فالمؤرخ انكب منذ بداية مشواره قبل وبعد الاستقلال في البحث التاريخي على القضايا المتعلقة بالتاريخ الإفريقي وسد ثغراته وإحيائه في الجامعة الجزائرية، لأنه حلقة مفرغة لدى الباحث الجزائري، خاصة أن أقلامه شحيحة عنه في فترة ما بعد الاستقلال، فعلى الرغم من الضباب المتراكم على تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في الجامعة الجزائرية في ذلك الوقت، إلا أنه أسهم بمجموعة من الكتب في مجال التأليف والتحقيق والترجمة، بالإضافة إلى العديد من المقالات، حملت بين طياتها الكثير من القضايا التاريخية التي مرت بها المنطقة محاولا معالجتها، صدرت في مجلات مختلفة، بالإضافة إلى مشاركته في بعض الملتقيات والمؤتمرات الوطنية والدولية.

ومن هذا المنطلق يمكن المساءلة حول: **العوامل التي ساقت عبد القادر زبادية للبحث في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء منذ بداية مشواره البحثي وخوضه مغامرة البحث في تاريخ يحتاج لمضاعفة الجهود؟ وما هي إسهاماته التي تركها لنا في هذا المجال؟**

لهذا ارتأينا أن نعالج هذا المقال مركزين فيه على ثلاث محاور أساسية، إذ استهلينا ذلك بحياته ومساره العلمي، ثم دوافع تخصصه في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، وفي الأخير تطرقنا إلى اهتماماته التاريخية بإفريقيا جنوب الصحراء.

2. حياته ومساره العلمي

1.2. المولد والنشأة

ولد المجاهد والباحث والمؤرخ عبد القادر زبادية يوم 20 نوفمبر 1935 بولاية باتنة بالضبط في بلدية كيمل التي تقع في الجنوب الشرقي من الولاية [1]، وهي ثاني أكبر بلدياتها حيث تعرف المنطقة بتاريخها الثوري الكبير، لأنها منطقة جبلية تقع في الأوراس. كان في صغره يقطن مع والديه. رزق بأربع أولاد هم ريحان ونبيل وفرح وشيراز، وقد انتقل مع عائلته إلى تونس ليستقر بها لفترة، ثم عاد إلى الجزائر وبقي بها في بيته بن عكنون بالعاصمة إلى جانب ابنته شيراز.

2.2. مساره العلمي

1.2.2. بمسقط رأسه

كباقي أترابه تتلمذ عبد القادر زبادية في كُتّاب قريته رغم فقر عائلته، وقد أخذ في صغره بعض مبادئ العلوم العربية والدينية في الكتاتيب والزوايا المجاورة لمدينته، حيث حفظ البعض من القرآن الكريم حفظا جيدا، ومن مشايخه الشيخ أحمد تيمقلين السرحاني. لينتقل بعدها لمزاولة الدراسة بمعهد عبد الحميد بن باديس الذي تم افتتاحه سنة 1947 بقسنطينة [2]. ورسم بالسنة الثانية من المرتبة الأخيرة خلال السنة الدراسية 1948-1949 تحت رقم: 1136 وتحصل في السنة الثانية على الإجادة [3].

2.2.2. بجامع الزيتونة

شكل جامع الزيتونة [4] في أهميته التربوية منارة العلم والعلماء الجزائريين، حيث كانت علاقتهم به وطيدة، فقد احتضن العديد من الطلبة الجزائريين الذين شغفوا بطلب العلم، ولم يكتفوا بأن تعلموا ونهلوا من الجامع ومدارسه بل إن شغفهم وتفوقهم مكن الكثير منهم من أن يصبحوا فيما بعد أساتذة ومدرسين وفقهاء وفلاسفة وشعراء ومصلحين. وكغيره من الطلبة الجزائريين التحق عبد القادر زبادية بالزيتونة التي وجد ضالته بها، حيث نهل منها ما يسد حاجته من علوم اللغة العربية (نحو، متون، أشعار) والعلوم الإسلامية، خلال السنة الدراسية (1954-1955) ورقم دفتره: 01136، فبعد أن تدرج في دراسته تحصل على شهادة الأهلية في دورة أكتوبر 1954، ورسم بالسنة الأولى ثانوي (1954-1955) ثم انقطع بعدها. واعتبر من الطلبة الناشطين في إطار جمعية البعثة الجزائرية الزيتونية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتونس [5].

3.2.2. بالعراق

وبعد نجاحه وتخرجه من جامعة الزيتونة، ازدادت رغبته الشديدة في استكمال دراسته، فقد كان يدرك أنه لن يجد مستقبل لثقافته العربية بالجزائر في ظل ردوحها تحت وطأت الاستعمار؛ ففكر في الذهاب للدراسة في إحدى الجامعات العربية بالمشرق وهي العراق. خاصة وأن جمعية العلماء المسلمين ومنذ عام 1952 فتحت مجالا لما أسمته البعثات إلى المشرق، لأن طلبتها كانوا بحاجة لإتمام دراستهم بالخارج، وكان ذلك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

بإشراف رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي الذي تولى مهمة السعي وراء الحكومات العربية الإسلامية تسهيل مهمة الحصول على مِنَح منهم لصالح الطلبة الجزائريين، وتَقْبل استقبال بعثات منهم بغرض مواصلة الدراسة في جامعاتها ومعاهدها العليا، ليدرسوا ثم يعودوا لتأطير الطلبة في الجزائر، وقد استطاع الإبراهيمي أن يحصل على عدد من المِنَحْ الدراسية للطلبة الجزائريين [6]. وبذلك انتقل عبد القادر زبادية إلى العراق ليواصل سعيه في دروب العلم وبهدف متابعة الدراسات العليا في جامعاتها. وقد زاول دراسته العليا بجامعة بغداد وتخرج منها عام 1961 [7].

4.2.2. عودته إلى الوطن بعد الاستقلال

بعد عودته من العراق واصل دراسته بجامعة الجزائر 02 بقسم التاريخ إلى أن نال منها شهادة دكتوراه الطور الثالث، وعنوان الأطروحة: "**مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493-1591**" ناقشها بتاريخ 1970/05/06 [8]. واللجنة مكونة من الأساتذة: أبو القاسم سعد الله مشرفا على الأطروحة، وصلاح العقاد وعبد المنعم ماجد كمناقِشَين من مصر. ومُنح درجة جيد جدا. وحضرت مجموعة من الأساتذة والطلبة في المناقشة.

5.2.2. ببريطانيا

إثر حصوله على شهادة دكتوراه الطور الثالث بجامعة الجزائر 02؛ قصد بريطانيا لمواصلة دراسته بجامعة لندن في حدود سنة 1971 في بعثة علمية إلى بريطانيا. أرسلته وزارة التربية والتعليم، وهذا بعد حصوله على مِنحة وأشار إلى ذلك في قوله: "**تم دعم دراستي في لندن بمِنْحة من وزارة التعليم (وزارة التربية والتعليم) في جمهورية الجزائر، وأنا ممتن لها**" [9].

my studies in London were supported by a grant from the ministry of " Education (Ministre de l'enseignement superieur) of the Republic of "AlgerIa, for which I am grateful

حيث سجل بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية The School of Oriental and African Studies [10] أين تحصل على شهادة دكتوراه دولة في مايو 1974 حول أطروحة:

"The Career and Correspondence of Ahmad al-Bakkay of Timbuktu from1847 to 1866"

تحت إشراف: **Dr Humphrey John Fisher** حيث أشرف عليه مدة 03 سنوات.

بتجربته في بريطانيا أثناء دراسته وجد ما يبحث عنه؛ فقد ساعدته هذه البيئة الجديدة التي كان لها دور في صقل شخصيته، ويذكر أسباب رغبة مواصلة دراسته ببريطانيا في قوله: "**الدراسة الحالية هي استمرار للعمل الذي بدأته منذ عدة سنوات فيما يتعلق بتاريخ ما قبل الاستعمار للسودان الغربي، وقد قدمت جزءًا منه بالفعل في رسالتي للحصول على درجة "دكتوراه الطور الثالث" من جامعة الجزائر**" [11].

"The present study is a continuation of work which I began several years ago concerned with the pre-colonial history of the Western Sudan, and part of which I have already presented in my thesis for the degree of "Doctorat dii troisièxne cycle" from the University of Algiers"

3.2.وظائفه الإدارية والعلمية

بعد حصوله على دكتوراه دولة من جامعة بريطانيا عاد إلى أرض الوطن. وقد أخبرني أحد طلبته المقربين منه إبراهيم بتقة [12] أنه لجانب عمله في التعليم والبحث والإشراف على الرسائل العلمية، شغل عدة وظائف بيداغوجية وإدارية منها:

-رئيس قسم التاريخ بجامعة الجزائر.

- ساهم في تأسيس قسم علم الآثار بجامعة الجزائر.

- شغل ممثل الجزائر في جامعة الدول العربية.

- أوكل له قسم العلاقات العربية الإفريقية بتونس.

- استدعي كعضو مناقش في عدة جامعات أوروبية وإفريقية والو. م. أ. وفي اليابان.

- أشرف على عدة طلبة من مختلف الجنسيات.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- ساهم في التأطير مع خالد صابر الشريف [13] في فتح مشروع أربع دفعات ماجستير تخصص دراسات إفريقية بجامعة الجزائر 02 خلال السنوات (2006، 2007، 2008، 2009). تخرج منها ما يقارب أربعين باحث، هم متواجدون اليوم في أقسام التاريخ في مختلف الجامعات الجزائرية. فلا شك أنهم نهلوا من غزارة علمه وتأثروا بسيرته العلمية بأدبه وخلقه وإنسانيته، والسير على دربه واتباع خطاه، والعمل على استكمال مشروعه حول تاريخ إفريقيا.

-عضو اتحاد المؤرخين العرب.

-عضو اتحاد المؤرخين الأفارقة.

- انتدب بوزارة الخارجية للعمل في منظمة الدول الإفريقية لعدة سنوات، لتفقد الجامعة الجزائرية إحدى أعمدتها في تاريخ إفريقيا، وهذا ما عبر عنه كل من علاوة عمارة ومولود عويمر في قولهما: "**يعتبر الدكتور عبد القادر زبادية رائد الدراسات الإفريقية في الجزائر...غير أن ابتعاده عن الجامعة الجزائرية لانتدابه في المنظمات الإفريقية الدولية حرمت جيلا كاملا من التكوين في هذا المجال الحيوي من الدراسات المعاصرة...**" [14].

4.2.نشاطاته العلمية

تمثل إنتاجه العلمي الذي تميز بالجدية العلمية في مجموعة من المؤلفات عبارة عن كتب ومقالات منها:

1.4.2. المؤلفات

المؤلفات المحققة		
الرقم	العنوان	السنة
01	أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي	1971
المؤلفات المطبوعة		
02	مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1453-1591	1971

03	"تاريخ المغرب العربي الحديث"، السنة الرابعة متوسط	المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1983/1982
04	التاريخ الحديث 1453 – 1815، السنة الثالثة، متوسط	المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1985/1984
05	الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء – دراسات نصوص -	1989
06	دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء - في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين -	2010
المؤلفات المترجمة		
07	الجزائر في عهد رياس البحر لوليم سبنسر	2007

2.4.2. المقالات

مجلة الأصالة			
الرقم	عنوان المقال	العدد	السنة
01	نشأة المدارس الفقهية في الإسلام	01	مارس1971
02	كيف نكتب...	03	أوت 1971
03	الإفريقية الكبرى ما قبل التاريخ	03	أوت 1971
04	التلمساني عبد الكريم المغيلي بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السودان	26	جويلية – أوت 1975
05	أزمة التغذية العالمية	38	أكتوبر 1976
06	ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري	41	جانفي 1977
07	ملامح الحركة التعليمية في تنبكتو خلال القرن السادس عشر	53	جانفي 1978
08	مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493م- 1591م	59-58	جوان - جويلية 1979
09	وثيقتان عن ثورتي الأوراس لسنتي 1859-60-1870	61-60	ستمبر1978
10	حول دور الجماهير البادية في ثورة نوفمبر الكبرى	74-73	أكتوبر 1979
11	أربعة عشر قرنا حافلة من تاريخ الإسلام في إفريقيا والتطورات الجديدة	75-76-77-78	من نوفمبر 1979 إلى فيفري 1980
مجلة التاريخ			
12	السودان الغربي وممالكه الإسلامية الكبرى- نظرة عامة-	03	1980

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مجلة الثقافة			
13	الداي حسين واستمرار المقاومة في متيجة	26	أفريل-ماي 1975
مجلة دعوة الحق – المغرب الأقصى			
16	حركة التعليم في تنبكتو في بلاد التكرور خلال القرن 16 ودور الأوقاف في ازدهارها	230	1983
مجلة الآداب – بيروت			
17	الحضارة العربية في عالمنا المعاصر دلالتها في إطار مستقبل الحوار العربي الأوروبي	5-4	1983
المجلة التاريخية المغربية – تونس			
18	ملامح الحركة التعليمية في تنبكتو خلال القرن السادس عشر	8-7	1977
Revue d'histoire maghrébine - Tunis			
19	**The Career of Ahmad al-Bakkay in the Oral Evidences and Recorded Documents**	03	1975
20	**The need for authentic documentary material in writing Pre-Colonial History of the Sub-Sahara regions: A case of the Jàkhanke people as an example**	04	1975
21	**Aspects of teaching movement in the 16th Century Timbuktu**	7-8	1977
22	**Note on West African Literatural Conttribution to North African History**	13-14	1979
23	**Assimilonist Leadership of its initiation and Development in French West Africa**	15-16	1979

5.2.وفاته

توفي ببيته ببن عكنون بالجزائر العاصمة يوم الأربعاء 03 أفريل 2013؛ عن عمر ناهز 78 سنة، بعد صراعه مع مرض عضال ألزمه الفراش. وروى المقبرة في جو

مهيب حضره المشيعين من المسؤولين والطلاب وأحبابه، رحم الله الأستاذ وأسكنه أعلى درجات الجنة.

3. دوافع تخصصه في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

1.3.دوافع ذاتية

رغبته في دراسة وإزالة الغموض عن بعض الجوانب الهامة من تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، لأنه لم يجد الاهتمام الكافي من الباحثين الجزائريين بعد الاستقلال، بسبب اللبس الذي كان يكتنفه. بالإضافة لعدم توفر المصادر عن هذا التاريخ في بداية دراسته عن إفريقيا، لأن أولى اهتماماته به تعود إلى وقت مبكر من حياته، فهو لم يتعدى العقد الثالث من عمره أنذاك. لأن هذا التخصص يتوافق مع تطلعاته المستقبلية ويتناسب مع قدراته في الدراسات الإفريقية، وذلك في فترة ما قبل استقلال الجزائر. حيث بدأت طموحاته كرغبة فيه وتطورت مع مرور الوقت لتتحول إلى ميولات تبلورت عنها تخرجه من جامعة بغداد سنة 1961، ويقول حول ذلك: "**تعود بدايات اهتمامي بالبحث في تاريخ إفريقيا إلى وقت تخرجي من جامعة بغداد سنة 1961**" [15]. لاحظ النقص العلمي والمعرفي في هذا التخصص بعد حصوله على شهادة دكتوراه في الطور الثالث من جامعة الجزائر سنة 1970. وخلال فترة تكوينه لما كان طالبا زادت ملاحظاته حول نقص التأطير والأساتذة والبحوث المتخصصة في هذا التخصص، ليزداد اهتمامه به عندما واصل دراسته ببريطانيا بحصوله على شهادة دكتوراه دولة سنة 1974.

طموحاته بالمساهمة في إبراز الجوانب الحضارية التي أسهم فيها العرب والمغاربة، الذين كان لهم دور فعال في ترسيخ الحضارة الإسلامية العربية المغاربية في إفريقيا جنوب الصحراء، وهذا ما أكد عليه في قوله: "**إن الحوافز الأخرى لاهتمامي بالتاريخ الإفريقي، يتجسم قسم منها في أن العرب في إبان ازدهار حضارتهم كانوا هم الذين جابوا القارة الإفريقية وكتبوا عنها، وساهموا ما أمكنهم في نهضة عدد كبير من الشعوب الإفريقية وتحضرها... فيتمثل قبل كل شيء في أن سكان المغرب العربي هم الذين أوصلوا الإسلام لغرب إفريقيا، وكان لهم النصيب الأوفر في التبادل التجاري والتعامل الثقافي مع سكانه**" [16].

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

إن هذا التخصص ظل مستعصيا على الدراسات الجامعية الأكاديمية في الجزائر خاصة والوطن العربي والمغاربي عامة. فقد كان يطمح للكشف عن الدور الذي لعبوه في إيصال الإسلام إلى ما وراء الصحراء، من خلال الجهود التي قاموا بها لتثبيتها في هذه المنطقة. إذ ساهموا بقدر كبير في نقل الإسلام والثقافة العربية، فأراد أن يسلط الضوء على مرحلة هامة من هذا التاريخ وهي فترة انتشار الإسلام بما وراء الصحراء، ومدى تأثيره على سكان المنطقة. وهذا ما حفزه على كشف النقاب عن هذه المرحلة، وحث الطلبة على التوجه نحو هذا التخصص، ليكونوا باحثين متخصصين في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

تطلعه لإعادة كتابة تاريخ إفريقيا بشكل علمي موضوعي بعيدا عن الحياد والتعصب والمبالغة والتزييف. لأن هذا التاريخ لم تتناوله إلا بعض الكتابات العامة، وما توفر من معلومات لا يقنع القراء ولا يشفي غليل الباحثين، وقد ذكر ذلك في قوله: "**إن أوسع الحالات التي عولج فيها كان كسرد سياسي... وفي الغالب حصل ذلك من طرف أشخاص هواة للتاريخ وليسوا مؤرخين**" (17).

لذلك ناشد بالتخصص لاعتقاده أن الدراسات الإفريقية في الجزائر لم تنل نصيبها من الدراسة بعد الاستقلال، خاصة أن ما تناولته الكتابات العربية خلال فترته لم ترق بعد إلى مستوى الدور التاريخي الذي لعبه الأفارقة على مر العصور. ومن هذا المنطلق خاض غمار البحث في جزء من تاريخ هذه القارة، ليكون بذلك أول باحث جزائري مختص يتقصى النقص المعلوماتي حول تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

اهتمامه الشخصي بتاريخ إفريقيا، ورغبته الشديدة في دراسته من مختلف جوانبه السياسية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية. محاولة منه في إبراز الدور الثقافي للجزائر في هذه المنطقة، وأشار لذلك في قوله: "**أما الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ... فلم تطرق من طرف المؤرخين المحدثين إلا لماما... وهذه الجوانب المغفلة هي التي اعتني بها**" (18).

لأن مثل هذه الدراسات ظلت تُدرس على هامش الدراسات التاريخية بالجامعة الجزائرية، خاصة وأن أغلب باحثيها بعد الاستقلال اتجهوا للاهتمام بتخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. وهذا ما حفزه للتخصص في هذا التاريخ، لأن هذه الدراسات تكاد تكون منعدمة في جامعاتنا، وبالمقابل عرفت اهتماما من قبل دول العالم.

2.3.دوافع موضوعية

رؤيته للدراسات الإفريقية أنها لا تزال عذراء بجامعاتنا، يجب الرعاية والاهتمام بها من حيث الوقائع والأحداث، والدراسة المعمقة، وهذا سيسهم في الحفاظ على تاريخنا المشترك من النواحي الثقافية والحضارية، وقد أكد على ذلك في قوله: "...**أن الجوانب المتصلة بالقارة الإفريقية إلى جنوب الصحراء الكبرى لا تزال في أيامنا هذه في حاجة إلى المزيد من الإغناء لا محالة**" [19].

دعوته لمسايرة تطلعات جامعات العالم في التنقيب والكتابة وإنشاء مراكز متخصصة في البحث عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، لإعطائها دفع جديد، وتكون أكثر عمقا وعلمية وموضوعية وتأثيرا في القراء. لأن هذا المجال لم يحظ باهتمام كبير في الجامعة الجزائرية حيث يقول: "**...ويتمثل الاعتبار الآخر في اعتقادي بأن من واجب الجامعة الجزائرية أن تساهم في فرع مهم من النشاط الذي يتوالى الاهتمام به حاليا في جامعات العالم، وذلك مما يجعل منها عنصرا إيجابيا بين تلك الجامعات، ويساعدها على التبادل والحركة**..." [20].

قناعته أن البحوث المتخصصة هي السبيل الوحيد في تشجيع إقامة البحوث الجادة في إطار نظام أكاديمي متخصص، يساعد على كتابة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء بكل موضوعية. فالحاجة إلى الدراسات والأبحاث المتخصصة ضرورية في هذا التاريخ، لأنها تسوق الباحث إلى إثراء معلوماته واستقصائها والوصول إلى نتائج دقيقة ومعمقة عن هذه الدراسة. لذلك من الضروري الاهتمام بالأبحاث الجزئية في جامعاتنا حول التاريخ الإفريقي (التخصص)، لأنها تُفعل وتُنشط حركة البحث العلمي في المؤسسات الجامعية. فالكثير من المهتمين بالدراسات الإفريقية يجهلون حقيقة تاريخها، وهذا ما أكده في قوله: "**... أن الأبحاث العامة في التاريخ الإفريقي، قد توفرت بشكل أصبح في الإمكان معه القيام بالأبحاث المتخصصة في عدة نواحي ... فإني أريد أن**

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

أؤكد اقتناعي بأن الأبحاث الجزئية المفصلة هي وحدها الكفيلة بإغناء موضوع التاريخ الإفريقي وتوسيع ميدانه" [21].

بداية اهتمام الجامعات العالمية خاصة الأوروبية منها مع مطلع الستينات من القرن العشرين بالتنقيب والبحث عن التاريخ الإفريقي، فهناك الكثير من المواضيع في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء قد تناولتها العديد من الأقلام الامبريالية، وعبثت بالتاريخ الإسلامي بإفريقيا وعملت على تشويهه. حيث شكلت خطورة تكمن في أنها أضحت مرجعا للكثير من الباحثين الأفارقة الذين تأثروا بها. وذلك من خلال دراستهم في المدارس والجامعات الأوروبية ليقودوا حملة شرسة ضد المسلمين والإسلام في المنطقة. من خلال الأكاذيب والتحريفات التي تلقفها المؤرخين الإمبرياليين في القرن الماضي إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإفريقية. فقد عملوا على إبرازها والتركيز عليها بدافع عصبيتهم وكرههم للمسلمين، وذلك من خلال تحريفهم للحوادث والوقائع التاريخية بقصد التشويه أو التفسير الخاطئ تِبعا للتصور والاعتقاد الذي يدينون به. ومشى في طريقهم عدد من الأفارقة، فاتبعوا طرائقهم ومناهجهم في البحث وأفكارهم وتصوراتهم في الفهم والتحليل وتفسير التاريخ، وهذا ما ذكره زبادية في قوله: **"وهناك قسم آخر منها كتبه أشخاص ربما كان همهم البحث لذاته، ولكنهم في الواقع كثيرا ما تحكمت في توجيههم مآرب أو مبادئ سياسية معينة، فجاءت أبحاثهم في حالات عديدة، لا تقنع الباحث النزيه، ولا يستطيع أن يتغافل عما يلاحظه عليها من المأخذ"** [22].

4. اهتماماته التاريخية بإفريقيا جنوب الصحراء

1.4. دور المغاربة في إسلام الأفارقة

إن الروابط الحضارية بين شمال إفريقيا وجنوبها موجودة عبر التاريخ، الصحراء الكبرى لم تشكل عازلا بينهما، فالعامل الجغرافي لم يكن عائقا لفصل الطرفين عن بعضهما، بل يعتبر عاملا لصهر عملية الأخذ والعطاء والنقل. لذلك كانت الخلفية التاريخية للعلاقات التي جمعت بينهما متينة، فهذه الصلات بين الجانبين متواجدة منذ

القدم. وقد تمت عبر قنوات مختلفة عملت على نشر الإسلام في ربوع ما وراء الصحراء، وهذا ما أكد عليه في قوله: "...**كان من واجب الباحثين الجزائريين والمغاربة بصورة عامة أن يلقوا الأضواء على الدور الجليل للحضارة العربية وللمغاربة منذ القديم في ربط الاتصال مع جيرانهم في جنوب الصحراء والتعامل معهم لما فيه فائدة الجميع**..." (23).

فمن الصعب أن تتفاعل وتطبع حضارة وثقافة مجتمع ما بمجتمع آخر، ولعل الجهود التي قام بها المغاربة في هذا الشأن اتجاه إفريقيا جنوب الصحراء خير دليل على ذلك، وهذا ما أقرت به الشواهد التاريخية. فقد حملوا معهم حضارتهم وثقافتهم عابرين الصحاري الشاقة ومتحدين الصعاب لترسيخها في هذه البلاد، وذلك عبر أربعة طرق تجارية من شمال القارة الإفريقية إلى غربها ووسطها، أولها يربط ليبيا وتونس بمنطقة بحيرة تشاد، وثانيها تونس ببلاد الهوسا، وثالثها الجزائر بأواسط نهر النيجر، ورابعها المغرب الأقصى بأعالي نهر النيجر ونهر السينغال، وعبر مصر وعبر البحر الأحمر إلى منطقة السودان ووادي النيل. وبذلك شكلت إفريقيا جنوب الصحراء امتدادا جغرافيا وتاريخيا للمغرب العربي، كما شكلت دوله حلقة وصل بين الشمال والجنوب.

إن الازدهار الثقافي الذي شهدته إفريقيا جنوب الصحراء لم يأتِ فجأة ولكنه جاء على ثلاث مراحل، بدأت يوم أن بدأ المشارقة والمغاربة في نشر الإسلام والثقافة العربية، ووصل ذروته خلال القرن (10م/16م)، فكان أزهى عصور الثقافة الإسلامية في هذه المنطقة بفضلهم. **الأولى** يغلب عليها الاحتكاك السلمي، وكان التجار العرب والمغاربة دعامته، **والمرحلة الثانية** يغلب عليها جهاد المرابطين الذين أعطوا النفوذ الإسلامي المتنامي بعدا اقتصاديا وثقافيا وسندا سياسيا، وتجمع **المرحلة الثالثة** بين السلم والجهاد وترتبط بالدعوة للعقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها بين الإفريقيين. وقد عرفت هذه المرحلة مؤثرات تمثلت في ثوابت أهمها أن بلاد المغرب كان قاعدة لانتشار الإسلام الذي كانت بدايته بالفتوحات الإسلامية المشرقية، وبه دخلت شعوب المنطقة إلى الإسلام. فالمغاربة جاؤوا بكتاب جامع للغة والبلاغة والفقه والقانون والنظام الاجتماعي، كما لعبت دويلاته التي قامت به دورا في ذلك. فانتقلت الزعامة الدينية والقيادة السياسية والاقتصادية والريادة الثقافية للإفريقيين بعد أن تشبعوا بروح

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الإسلام، واقترنت المرحلة الأخيرة أيضا بقيام عدد من الممالك الإسلامية بالمنطقة [24]. وهذا ما استنتجه عبد القادر زبادية في قوله: "**وكان من أبرز آثار الحضارة العربية بالسودان الغربي، هو مساعدة السكان على التخطي الشكل القبلي القديم، وتأسيس ممالك لها صبغة وطنية، وكانت إمارة سنغاي التي تأسست منذ القرن الثامن للميلاد، من أهم الإمارات التي ظهرت في غرب السودان، وقد قيض لها في القرن السادس عشر أن تصبح إمبراطورية كبيرة ضمت تحت لوائها معظم شعوب غرب السودان، وقد مثل عهدها هذا أوج ازدهار الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي** ..." [25].

بالإضافة إلى أن الارتباط الثقافي والديني بالمغرب العربي كان وثيقا، وتجليات هذا الارتباط متعددة وبارزة، من خلال التشابه في المذهب المالكي السائد في كثير من الدول الإفريقية، والذي يتبناه المغاربة والمعروف عنه الوسطية والاعتدال، وسيادة قيم التسامح والانفتاح على الآخر، مما ساعد في انتشاره بالعديد من دول إفريقيا جنوب الصحراء. ولا زال إلى اليوم يعتبر المغرب العربي مرجعا دينيا للأفارقة.

أثر البعد الديني الروحي في العلاقات المغاربية الإفريقية، بامتداد العديد من الزوايا التي انتشرت فروعها بالدول الإفريقية. حيث تعتبر الحركة الصوفية ذات الدور الكبير في البعد الديني الذي كان حاضرا بقوة في هذه العلاقات، من خلال الأدوار المختلفة التي اضطلعت بها بعض المؤسسات الاجتماعية والجماعات الدينية كالزوايا التي تم إنشاؤها بين ضفتي الصحراء، وكان لها دور في تبليغ رسالة الإسلام، ومن بين الطرق التي كانت حاضرة بقوة في هذه المنطقة هي الطريقة القادرية [26] والتيجانية [27] والسنوسية [28]، التي لم تنبع من ما وراء الصحراء، بل أخذتها من الجزائر التي تعتبر فضاء لتلاحق الثقافات وتلاحمها بين الشمال الإفريقي وجنوبه. فهذه الطرق لها دور في الارتباط الحضاري والتبادل الثقافي بين الجانبين، حيث تجلى ذلك في توافد عدد كبير من العلماء والصلحاء المغاربة على الحواضر العلمية في إفريقيا جنوب الصحراء

للتدريس والإمامة. وقد خلفوا مكانة وتأثير فيها خلال فترة العصر الحديث، فلعبوا دورا بالغ الأهمية لأنهم باشروا وحرصوا على نشرها في تلك الربوع. مما جعل الطرق الصوفية تشكل حلقة وصل ورافدا من روافد التبادل الفكري والثقافي بين المنطقتين فحصل تفاعل بين المحلي والوافد.

2.4. طمس الأفارقة المتأثرين بالفكر الغربي للحضارة العربية الإسلامية

تعرض عبد القادر زبادية إلى تفنيد بعض المؤرخين الأفارقة لدور العرب في نشر الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، منذ وصول الإسلام لشمال إفريقيا وانتشاره في الصحراء وما ورائها. ليستحوذ على قلوب الأفارقة الذين تركوا الوثنية واعتنقوا الإسلام، وذكر ذلك في قوله: "**...وإذا كان بعض المؤرخين الحديثين - أفارقة- يذهبون إلى إنكار الدور الحضاري للعرب في السودان الغربي وتفسير كل فعالياتهم في المنطقة على أساس استغلالي فقد تأكد لي أن هذا الزعم لا يمثل حقيقة بكل جوانبها**" (29).

يعتبر رضوخ بعض المفكرين الأفارقة في تجاهلهم لدور العرب المسلمين في نشر الاشعاع الحضاري لإفريقيا على بنى إسلامية، إلى أن تاريخهم ظل يكتب طيلة الفترة الحديثة والمعاصرة بأيادي المستعمر. فلا بد اليوم أن تدرك شعوبها أن الوقت قد حان لأن يكتبوا تاريخهم بأيديهم، لأن التاريخ سجل للماضي وهو الوعاء أو المرآة الوحيدة التي تعكس تراث الأمم وحضارتها. فمصادر تاريخهم كتبها أوروبيون حملت الكثير من التحيزات والأخطاء التاريخية الناجمة عن الجهل بطبيعة القارة وشعوبها. في حين الأفارقة لم يكتبوا تاريخهم اليوم كما ينبغي، لذلك رأى عبد القادر زبادية ضرورة وضعهم أمام الأمر الواقع، لأن هذا ما تسبب في قلة الكتابات والأبحاث التاريخية المتعلقة أساسا بالقارة الإفريقية.

كما أن دور المسلمين في ما وراء الصحراء تعرض عبر مراحله لحملات عاتية من التشويه والتزييف لأهداف سياسية أو مذهبية. فقد نال هذا التاريخ حظه الأوفر من التشويه على يد الأوروبيين وأنصارهم من المفكرين الأفارقة، الذين يحملون قدرا مهولا من الحقد والعداء للإسلام، مما جعل الأوروبيين يجتهدون أيما اجتهاد من أجل تشويه تاريخ إفريقيا ما وراء الصحراء، وسجلوا عنهم كل سلبية، جالت بها أقلامهم، وحلقت بها

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

أفكارهم، وتجاهلوا كل إيجابية، ونظروا إلى تاريخ الإسلام بعين البغض التي تبدي المساوئ!

فهل يعود إنكار الأفارقة للحضارة العربية الإسلامية في بلادهم تمجيد لماضيهم باعتباره عصرا مظلما بلا تاريخ ارتبط ارتباطا وثيقا بإرث العبودية؟ التي هي جزء من أيديولوجيات تطورت في العالم الغربي منذ القرن (10هـ/16م) وما بعده، عندما بدأت القوى الغربية المسيحية في تجارة العبيد مع إفريقيا؛ وهذا ما أكد عليه في قوله: "...**فذهب الكثير من كتابهم إلى التركيز على أن العرب بصورة عامة والمغاربة بشكل خاص، لم يكونوا إلا تجارا للعبيد ومستغلين لشعوب السودان الغربي...**" [30].

3.4. صراع الزنوجية والثقافة العربية الإسلامية

خلال ستينات القرن الماضي، وعلى إثر موجة الاستقلال التي عرفتها دول إفريقيا جنوب الصحراء، والتي عاصرها عبد القادر زبادية، ظهرت كتابات إفريقية وطنية، أُنجزت في العديد من معاهد الدراسات الإفريقية في أوروبا وإفريقيا، من طرف باحثين أكاديميين تأثروا بالمدارس الفرانكفونية [31] والأنجلوسكسونية [32]، وقد ذكر ذلك في قوله: "...**فقد نشأت طبقة من بين السودانيين أنفسهم تدعو إلى ما يدعو إليه غلاة الاستعمار من اعتبار حقبة الحضارة الإسلامية بالسودان الغربي فترة عارضة. أما الأساس الذي يجب يعتنى به، فهو عهد البدائية السابق للإسلام وأعمال (التحضر) التي أدلجها المستعمرون منذ نهاية القرن التاسع عشر. وهذا هو أساس فكرة الزنجية التي تدعو إليها؛ وتعمل على تعميقها وإكسائها ثوبا فلسفيا بعض الفئات السودانية المتخرجة من المدارس الفرنسية. ومن ورائهم جمع كبير من فلاسفة ومفكري الاستعمار الغربي في عالم اليوم. والهدف واضح من وراء عمل الطرفين، وهو يتلخص في طمس الدور الهام للمسلمين والحضارة الإسلامية بالمنطقة**" [33].

فالأفارقة لا يزالوا يعانون من مشكل الهوية والبحث عن الذات، رغم أن بعض الأقطاب استطاعوا أن يبرهنوا على نضج كبير في تعاملهم مع التاريخ الإفريقي، غير أن مفهوم الزنوجية لقي رواجا وانتشارا خلال هذه الفترة، كجزء من حركة ثقافية وفنية، وكان بمثابة نواة للحركات المناهضة للاستعمار في إفريقيا، واعتبرت من المشكلات التي واجهت الثقافة العربية الإسلامية بعد استقلال معظم دول إفريقيا جنوب الصحراء، والتي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم رواج فكرة أو نظرية الزنوجية Negritude [34] التي انطلقت دعوتها من خارج إفريقيا. وقد وجد هذا المفهوم صورته الأشهر في أعمال ليوبولد سنغور Léopold Senghor [35] الذي قيل عنه أنه خلاصة القيم الثقافية للعالم الأسود، فنجد الزنوجية عبارة عن مفهوم يمثل موقفا معارض الرؤية لجماعة دراسات الاستعمار. ويعد ليوبولد سنغور مبتكر مفهومها [36]، وهو ممثل الفلسفة الغربية في السنغال [37]، ومن أشد المدافعين عنها فكان يقول: "**إنها مجموع القيم الثقافية لإفريقية السوداء**" [38]. لكن في الحقيقة ترجع إلى الكاتب الكبير إيمي سيزير **Aimé Césaire** [39] الذي استفاد منه كثيرا وهو ما يعترف به في بعض كتاباته [40].

غير أنه ليس هناك ما يبرر تقسيم إفريقيا إلى شمال الصحراء ذو صبغة عربية وجنوبها يغلب عليه العنصر الزنجي، لأن مناطق شمال وجنوب وشرق وغرب إفريقيا تكاد تمثل وحدة حضارية توثقت بانتشار الإسلام والتأثر باللغة العربية، التي كانت وسيلة تواصل بين شعوبها، بالاحتكاك الاجتماعي والثقافي، في حين لم تهضم حق اللهجات الإفريقية المحلية التي دخلت طواعية وانصهرت في بوتقة الثقافة العربية الإسلامية بشكل تدريجي [41]. فالمتحدثون بها في إفريقيا ليسوا كلهم عربا ودما، بل أكثرهم عرب لغة وثقافة وحضارة وعقيدة [42]. حيث يقول جون هنويك في هذا الشأن: "**يمكن أن نشبه اللغة العربية بأنها لاتينية إفريقيا بحكم أنها لعبت دورا في غرب إفريقيا، ومناطق أخرى من القارة في خلال الألفية الماضية مثلما فعلت اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى، ونعني بذلك أنه من خلال الدين أصبحت اللغتان هما الوسيط الناقل للديانة. كما أن معتنقي هاتين الديانتين كتبوا مؤلفاتهم الأولى بهاتين اللغتين ثم تحول بعضهم فيما بعد بالتشابه باللغات المحلية**" [43].

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وبوجود التراث العربي الإفريقي المشترك تلاحمت الثقافة العربية الإسلامية تاريخيا مع الثقافات الإفريقية سلميا، وبالقدر الذي أثرت به الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا فإنها تأثرت بالثقافات الإفريقية.

4.4. دعوته لتأسيس معهد الدراسات الإفريقية بالجزائر

دعوة عبد القادر زبادية لضرورة خلق وعي واضح بأهمية دراسة تاريخ إفريقيا ومكانته في التاريخ الإنساني، وذلك بتأسيس معهد للدراسات الإفريقية بالجزائر كما هو الشأن في بعض الدول الإفريقية والأوروبية، والتأكيد على إقامة أوثق الصلات مع معاهد ومراكز جمع الوثائق والمخطوطات الموجودة في إفريقيا؛ وعبر عن هذا في قوله: **"... أريد أن ألفت الانتباه في هذه المناسبة إلى مدى الحاجة التي يقتضيها واقعنا التاريخي والجغرافي في الماضي والحاضر، فأدعوا إلى تأسيس معهد للدراسات الإفريقية ببلادنا، فكل من القاهرة ولشبونة ولندن توجد معاهد من هذا النوع، وتوجد في بلدان أخرى مؤسسات مشابهة، وكلها تقوم بنشاط أثبتت جميع الوقائع لفائدته، سواء لتلك البلدان أو لفائدة تمتين وتوسيع العلاقات التي تربطها ببلدان إفريقيا النامية...وهو معروف للجميع من أن الجزائر لا تبخل في شيء في خدمة القارة الإفريقية ككل والمساهمة في ترقيتها وتحريرها ومن ثم فهي معنية مباشرة بالمبادرة إلى تأسيس معهد للدراسات الإفريقية ببلادها، ولي يقين مسبقا، في أن ذلك المعهد إذا ما أُسس فستتمخض عن تأسيسه نتائج إيجابية وسيلمس الجميع فوائده العديدة في كثير من المجالات"** [44].

تعتبر مصر من الدول الإفريقية السباقة لِما كان يطمح إليه عبد القادر زبادية، فقد أسست معهد البحوث والدراسات الإفريقية عام 1947 تحت اسم "**معهد الدراسات السودانية**". والمعهد الثاني تأسس بأسوان عام 2017 باسم "**معهد البحوث والدراسات الإفريقية ودول حوض النيل**".

بينما بعض الدول الإفريقية كان عبد القادر زبادية سباقا في الفكرة وهي سباقة في التطبيق، فبعد مرور 16 عاما من دعوته أسس المغرب الأقصى "**معهد الدراسات الإفريقية**" بالرباط، تم إنشاؤه عام 1987 بتعليمات من الملك الراحل الحسن الثاني [45]، وشرع في تنظيم أنشطته ابتداء من عام 1990، وهذا ما أسهم في إعطاء دراسات أكاديمية. ومركز "**الدراسات الصحراوية**" بالرباط الذي تم إنشاؤه عام 2015. و"**مركز البحوث والدراسات الإفريقية**" بجامعة إفريقيا العالمية بالسودان، و"**معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية**" بجامعة الخرطوم. و"**مركز البحوث والدراسات الإفريقية**" بجامعة سها بليبيا، وغيرها من المعاهد والمراكز المنتشرة في أوروبا وآسيا وأمريكا.

لذلك أناشد اليوم كمختص في الدراسات الإفريقية بضرورة التفكير بإنشاء مثل هذا المعهد ببلادنا، ونحذو حذو أشقائنا في إنتاج وتجميع المخطوطات والوثائق والمراجع والكتب والأبحاث، لأن مثل هذه الخطوة تعتبر تحولا جديدا نحو القارة الإفريقية ونحو الاهتمام بها، فهذا المعهد بوطننا سيسهم في المشاريع الوطنية الخاصة بإفريقيا، وسيمثل الحلقة الأولى في التواصل الجزائري الإفريقي، وإبراز دور بلادنا في القارة الإفريقية ودعما لدور الجزائر بها، ودراسة التراث المشترك بين الجزائر وباقي الدول الإفريقية، وتعميق البحث في حضاراتها ولغاتها ولهجاتها ومقوماتها التاريخية. وسيهدف لتدعيم رؤية الجامعة الجزائرية الحديثة بشأن تعزيز الدراسات الإفريقية، كما يهدف لإعداد كوادر بحثية متخصصة في الشأن الإفريقي، مما يعزز التواصل بين شعوب القارة. خاصة إذا ضم هذا المعهد التخصصات التي تحتاجها القارة الإفريقية مثل: التاريخ والجغرافيا واللغات والموارد الطبيعية والأنثروبولوجيا والنظم السياسية والاقتصادية، لأنها ستبني دعامات أساسية لاستمرارية التواصل الجزائري الإفريقي.

5.خاتمة

وفي الختام لا بد لنا أن ننوه بمجهودات عبد القادر زبادية في خدمة تاريخ إفريقيا، لأنه ساهم في وضع بوادر إنشاء قسم الدراسات الإفريقية في الجامعة الجزائرية. فكان من الباحثين السباقين لإثارة هذا الموضوع بحس منهجي رصين، مركزا بشكل أساسي على البعد الحضاري الإسلامي فيما وراء الصحراء. كما يعتبر أول الباحثين في الجزائر الذي

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

أعطى أهمية لتخصص تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، حتى يكون أكثر عيانا وبروزا بالجامعة الجزائرية. فقد ناضل وكابد بفكره وقلمه على إحياء تاريخ ما وراء الصحراء الكبرى خاصة بعد الاستقلال، وبذل جهدا معتبرا من العمل الدؤوب في سبيل ذلك، وهذا ما نستشفه من خلال تمحيص دقيق لعدته المصدرية المتعددة المشارب، فقد ترك وراءه عدة مؤلفات تتيح للباحثين الخوض في الكثير من القضايا التي لها صلة بهذا الجانب، حيث دعاهم للاهتمام بهذا التخصص. وهنا يحق لنا أن نتساءل هل سيكون الجيل الذي تكوّن على يده أن يكون في مستوى هذه الدراسات التي كان يطمح إليها عبد القادر زبادية؟ وهل سيكون أهلا لجهوده وتطلعاته التي بذلها في هذا المجال؟ وماذا يمكنهم أن يقدموا للجامعة الجزائرية اليوم في هذا التخصص بعد رحيله إلى ربه؟

6.قائمة المراجع

- الأزمي أحمد: **الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي**، مطبعة فضالة، المغرب، 2000.

- البغدادي صالح عبد السلام عبد الله: "**اللغة العربية في إفريقيا**"، ملتقى الجامعات الإفريقية: التداخل والتواصل في إفريقيا، ج3، الخرطوم، يناير 2006.

- بكاري يوسف: **في الأدب المقارن مفاهيم وعلاقات وتطبيقات**، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، 2018.

- بلقزيز عبد الله: **فرنكوفونية أيديولوجيا، سياسات، تحد ثقافي، لغوي**، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.

- البيانوني فتح الدين محمد أبو الفتح: **مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث**، الرياض، 1433هـ.

- التلمساني بن يوسف: **الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني-الأمير عبد القادر-الإدارة الاستعمارية)**، رسالة ماجيستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 02 (أبو القاسم سعد الله)، 1998.

- عبد الخالق محمد فضل محمد وآخرون: **الموسوعة العربية العالمية**، ط2، ج03، ج13، ج17، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1999.

- جعفري أحمد: "**المؤرخ عبد القادر زبادية رائد الدراسات الإفريقية في الجزائر – منهجه وإسهاماته في كتابة تاريخ إفريقيا**"، مجلة الدراسات الإفريقية، (الجزائر)، المجلد 03، ع/08، ماي 2020.

- جون هنويك: "**غرب إفريقيا واللغة العربية**"، ملتقى الجامعات الإفريقية: التداخل والتواصل في إفريقيا (مستخلصات المؤتمر العلمي الكتاب الأول)، الخرطوم، يناير 2006.

- خليل أحمد خليل: **ملحق الموسوعة السياسية**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.

- خليل حسن خليل: **السلطنة**، الجزء الثالث من ثلاثية الوسية (مختارات الكرمة)، دار الكرامة للنشر، القاهرة،2019.

- الديك محمود أحمد: "**الثقافة العربية بين الواقع والطموح**"، ملتقى الجامعات الإفريقية: التداخل والتواصل في إفريقيا (مستخلصات المؤتمر العلمي الكتاب الأول)، الخرطوم، يناير 2006.

- ركيبي عبد الله: **فرانكوفونية مشرقا ومغربا**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- زبادية عبد القادر: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493-1591**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

- زبادية عبد القادر: **"مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493م- 1591م"**، مجلة الأصالة، (الجزائر)، ع/58-59، السنة السابعة، جوان - جويلية 1979.

- زبادية عبد القادر: **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء-في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين-**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

- الساعدي محمد طه جواد وعمراني آسيا عبد القادر: **الأدب الهامشي - مقاربة نقدية في الأصول والمقولات**، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، 2021.

- الساموك سعدون: **الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية**، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.

- سعيدوني ناصر الدين: **المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية – اللغة (دراسة تاريخية نقدية)**، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021.

- شاهين نزار: **مناهج النقد الأدبي المناهج الكلاسيكية**، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، مصر، 2013.

- شترة خير الدين: **معجم أعلام الجزائر خرجي الجامع الأعظم بتونس**، ط1، ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.

- الشيخ رأفت غنيمي: **دراسات أفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر**، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع، مصر، 2011.

- طموح فاطمة الزهراء طموح: **واقع الدراسات الافريقية بالمغرب**، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998.

- عطلاوي عبد الرزاق: **الرحلات العلمية وأثرها في الحركة الإصلاحية الجزائرية 1900-1954**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2018.

- عمارة علاوة وعويمر مولود: **نصف قرن من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية 1962-2012**، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة، 2013.

- أبو عيشة عبد الفتاح: **موسوعة القادة السياسيين عرب وأجانب**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.

- الفاسي عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير (ت1382هـ/1964م): **معجم الشيوخ (رياض الجنة)**، ج1، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019.

- قاسم محمود: **موسوعة أدباء العالم في القرن الـ 21**، ج1، ط1، e-Kutub Ltd، لندن، 2018.

- الكيلاني ميعاد شرف الدين: **مكتبات سيدنا عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه وشرحها)**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.

- لعرج شيخ: **موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران01 (أحمد بن بلة)، 2017.

- المبارك أحمد: **العلاقات العربية الافريقية ضمن كتاب العرب والدائرة الأفريقية**، مركز الدراسات والوحدة العربية، لبنان، 2005.

- مفتاح عبد الباقي: **أضواء على الشيخ عبد القادر جيلاني وانتشار طريقته**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

- المزيدي أحمد فريد (ت832هـ): **موسوعة مصطلحات عبد الكريم الجيلي**، كتاب ناشرون، بيروت، 2019.

- المعسكري محمد أبي راس الناصري (ت1238هـ/1823م): **إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم عند علماء المغرب الأوسط**، تحقيق: حمدادو بن عمر وبوسلاح فايزة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018.

- ملكاوي فتحي حسن: **مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، 2018.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم (ت909هـ/1504م): **نصيحة المغيلي لأمير كانو وإرشاده**، تحقيق: عبد الرحمان حمادو الكبتي، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، الجزائر، 2013.
- ميغا أبو بكر: "**دور الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين وأثرها في الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية في المنطقة**"، مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ع/7، (المملكة العربية السعودية)، أكتوبر1992.
- الودغيري عبد العلي: **لغة الأمة ولغة الأم عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014.
- مجلة الدراسات التاريخية، ع/1، (الجزائر)، السنة الأولى، 1986.
- "**الملف الثقافي -رحيل شاعر الونوجية ليوبولد سنغور والمشعان** "، مجلة الفيصل، ع/305، يناير-فبراير 2002.
- Eric Martone: **Encyclopedia of Blacks in European History and Culture**, Vol 2, Greenwood Press, London, 2009 .
- John O. Hunwick: **Sharî'a in Songhay. The Replies of Al-Maghîlî to the Questions of Askia al-Hâjj Muhammad**, Oxford University Press, London- New York, 1985.
- Zebadia Abdelkader: **The Career and Correspondence of Ahmad al-Bakkay of Timbuktu from1847 to 1866**, Ph.D.thesis.University of London, 1974.

7.الهوامش

(1) تحصلنا على هذه المعلومات باتصالنا ببلدية إقامتنا (بوسعادة)؛ وهذا لتوفر حيز خدمة السجل الوطني للحالة المدنية الأوتوماتيكي على مستوى جميع بلديات الوطن دون التنقل لولايته. بينما أحمد جعفري لمَّا أعد مقال حوله ذكر أنه ولد في ضواحي بسكرة عام 1933، ولم يشر إلى مصدر هذه المعلومات. ينظر: أحمد جعفري: "**المؤرخ عبد القادر زبادية رائد الدراسات الإفريقية في الجزائر – منهجه وإسهاماته في كتابة تاريخ إفريقيا**-"، مجلة الدراسات الإفريقية، (الجزائر)، المجلد 03، ع/08، ماي 2020، ص222.

(2) ناصر الدين سعيدوني: **المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية – اللغة (دراسة تاريخية نقدية)**، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021، ص117.

(3) خير الدين شترة: **معجم أعلام الجزائر خرجي الجامع الأعظم بتونس**، ط1، ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص73.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

(4) **جامع الزيتونة**: هو أول جامعة في العالم الإسلامي، وهو جامع وجامعة. ويعد ثاني الجوامع التي بنيت في المغرب الإسلامي بعد جامع عقبة بن نافع في مدينة القيروان. ويرجع المؤرخون أن من أمر ببنائه هو حسان بن النعمان عام 79هـ، وقام عبيد الله بن الحبحاب بإتمام عمارته في 116هـ. وكان منذ تأسيسه مؤسسة للتعليم والتدريس. ينظر: فتحي حسن ملكاوي: **مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، 2018، ص238.

(5) خير الدين شترة: المرجع السابق، ص73، 74.

(6) عبد الرزاق عطلاوي: **الرحلات العلمية وأثرها في الحركة الإصلاحية الجزائرية 1900-1954**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2018، ص101.

(7) عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493-1591**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص5.

(8) مجلة الدراسات التاريخية، ع/1، (الجزائر)، السنة الأولى، 1986، ص179.

(9) Abdelkader Zebadia: **The Career and Correspondence of Ahmad al-Bakkay of Timbuktu from1847 to 1866**, Ph.D.thesis.University of London, 1974, p5.

(10) **معهد الدراسات الشرقية والإفريقية**: دشن الملك جورج الخامس معهد الدراسات الشرقية عام 1917، وتغير اسم المعهد عام 1938 فأصبح معهد الدراسات الشرقية والإفريقية (**SOAS**). ويعد هذا المعهد أكبر معهد من نوعه في أوروبا، فهو يهتم بتدريس اللغات الشرقية والإفريقية القديمة والحديثة، وآداب وتاريخ أديان وعادات هذه الشعوب. وتُدرس فيه حوالي 80 لغة آسيوية، و50 لغة إفريقية. ويُعنى بكل ما يتعلق بهذه البلدان من أدب ودين وعادات وتاريخ وسياسة واقتصاد. وصاحَب نشأة الكلية تأسيس مكتبتها التي كانت لبنتها الكتب الواردة من آسيا وإفريقيا وجنوب شرق آسيا والصين واليابان وغيرها. حيث يزيد عدد نسخها في الوقت الحاضر على أكثر من 1.2 مليون كتاب مطبوع ومخطوط ومنسوخ ومصور في نحو 4000 لغة ولهجة قديمة وحديثة حية وميتة. ينظر: فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني: **مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث**، الرياض، 1433هـ، ص34، 35؛ سعدون الساموك: **الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية**، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص158، 159.

(11) Abdelkader Zebadia: op.cit, p6.

(12) **إبراهيم بتقة:** أستاذ متخصص بالدراسات الإفريقية، حاليا رئيس قسم التاريخ بجامعة خميس مليانة. أحد طلبة عبد القادر زبادية في مرحلة الماجيستير بجامعة الجزائر 02، وكان مشرفا عليه برسالة عنوانها: "**قبائل الطوارق ومقاومة الاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1898-1930)**"، ولما ألمَّ المرض بعبد القادر زبادية أوكل مهمة الإشراف لزميله خالد صابر الشريف وهذا الأخير أشرف عليه أيضا في مرحلة الدكتوراه بأطروحة عنوانها: "**الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لطوارق كال أهقار في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20**" ناقشها في 2019.

(13) **خالد صابر الشريف:** أستاذ بجامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، متخصص في الدراسات الإفريقية، ويعتبر من الأساتذة الذين تلقوا تكوينهم بالخارج. تحصل على دكتوراه درجة ثالثة بفرنسا سنة 1987، وأطروحته بعنوان:

"Le Maghreb dans les relations extérieures du Sénégal 1960-1980"

(14) علاوة عمارة ومولود عويمر: **نصف قرن من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية 1962-2012**، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة، 2013، ص17.

(15) عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص5.

(16) المرجع نفسه، ص6.

(17) المرجع نفسه، ص7.

(18) المرجع نفسه، ص7.

(19) عبد القادر زبادية: **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء-في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين-**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص5.

(20) عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين**، المرجع السابق، ص5.

(21) المرجع نفسه، ص5.

(22) عبد القادر زبادية: "**مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493م- 1591م**"، مجلة الأصالة، (الجزائر)، ع/58-59، السنة السابعة، جوان - جويلية 1979، ص30.

(23) المرجع نفسه، ص28.

(24) أحمد المبارك: **العلاقات العربية الافريقية ضمن كتاب العرب والدائرة الأفريقية**، مركز الدراسات والوحدة العربية، لبنان، 2005، ص39.

(25) عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين**، مجلة الأصالة، ص28.

(26) **القادرية**: مؤسسها عبد القادر الجيلاني نسبة إلى جيلان واسمه الحقيقي محي الدين أبو محمد بن أبي صالح جنجي دوست، وكلمة جيلاني نسبة إلى جيلان التي ولد بها وهي تقع إلى الجنوب من بحر

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

قزوين، المزداد سنة 1077 بمدينة راشت Rasht، والمتوفي ببغداد سنة 1166، وأسسها سنة 1126، تلقى تعلمه على عدد من العلماء والمحدثين ومن أبرزهم العلامة التبريزي 1108، وكان وصول الطريقة القادرية إلى المغرب الإسلامي على يد الشيخ أبو مدين بن شعيب 1198، الذي حج إلى بيت الله فأخذ الطريقة عن العارف الأكبر مولاي عبد القادر الجيلاني، وأول من نشرها في السودان الغربي محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي انطلق من توات قاصدا هذه البلاد كمعلم ومرشد ومصلح وداعي ومفتي وقاضي، فدخل بلاد آير عام 1479 ثم توجه إلى بلدة تكدة فكان مدرس، وبنى مسجدا في قرية أياتول شمال شرق أغاديس ودرَّس أهالي المنطقة؛ ثم انتقل إلى كاتسينا وتولى بها قضاء الجماعة والتدريس، توجه إلى كانو حاضرة محمد بن يعقوب رومغا، حكم في الفترة الممتدة ما بين (1463-1499) وفيها استقر مقامه، فقربه السلطان وجعله مستشاره ووزيره، وولاه القضاء والإفتاء في الفترة التي قضاها ببلاده، وكتب له مجموعة من الرسائل ووصايا وفتاوى، منها مجموعة في أمور الإمارة والسياسة الشرعية "**تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**"، ثم انتقل إلى مملكة سنغاي سنة 1502 واتصل بالسلطان أسكيا الحاج محمد الذي قربه إليه، ووجه له أسئلة تتضمن المشاكل السياسية والدينية والاجتماعية التي تواجه مملكته، فأجابه المغيلي في رسالة بعنوان "**أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي**". ينظر: ميعاد شرف الدين الكيلاني: **مكتبات سيدنا عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه وشرحها**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011، ص ص12-20؛ أحمد فريد المزيدي: **موسوعة مصطلحات عبد الكريم الجيلي**، كتاب ناشرون، بيروت، 2019، ص30-40؛ عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الشيخ عبد القادر جيلاني وانتشار طريقته**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص9 وما بعدها؛ محمد بن عبد الكريم المغيلي: **نصيحة المغيلي لأمير كانو وإرشاده**، تحقيق: عبد الرحمان حمادو الكبتي، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، الجزائر، 2013، ص396؛ أبو بكر ميغا: "**دور الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين وأثرها في الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية في المنطقة**"، مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ع/7، (المملكة العربية السعودية)، أكتوبر1992، ص207؛

John O. Hunwick: **Sharî'a in Songhay. The Replies of Al-Maghîlî to the Questions of Askia al-Hâjj Muhammad**, Oxford University Press, London- New York, 1985, pp29-48.

(27) **التيجانية**: نسبة إلى مؤسسها أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سليم التيجاني، ولد سنة 1737 بعين ماضي بالأغواط، حل بفاس لاستكمال دراسته، فتعرف على مختلف الطرق الصوفية، وأخذ العلم على عدد من الفقهاء القرويين، ثم توجه إلى تلمسان ومنها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ليستقر بأبي سمغون بالصحراء، وتحت ضغط السلطات العثمانية استقر بمدينة فاس سنة 1796، استقبله بحفاوة السلطان سليمان، وبحكم معارضة الزوايا لنشاطه نصح أبنائه بالعودة بعد وفاته إلى أبي سمغون وعين ماضي، وهذا ما حصل بالفعل سنة 1815، إذ تفرعت الطريقة إلى زاوية تماسني نسبة إلى الشيخ سيدي على التماسي، الذي عينه الشيخ سيدي أحمد خلفة قبل وفاته، وزاوية عين ماضي ممثلة من طرف أحفاد سيدي أحمد التيجاني. وبلغت أوجها في إفريقيا جنوب الصحراء باعتناق الحاج عمر الفوتي التوري لها، مؤسس أول مملكة تيجتانية عن طريق الجهاد سنة 1884، واستمرت إلى استيلاء الفرنسيين عليها سنة 1894. ويرجع الفضل إليها في القضاء على الصراعات القبلية، حيث انصهرت القبائل الإفريقية التي اعتنقتها في بوتقة واحدة تجلت في تعاليم الحضارة الإسلامية. كما ساهمت في نشر الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في المنطقة، وشكلت صلة وصل بين مسلمي الشمال والجنوب من خلال تبادل الزيارات والآراء والأفكار، بلغت قمة انتشارها في إفريقيا على يد الشيخ إبراهيم الكولخي وموريده من الشناقطة، خصوصا الشيخ الهادي بن سيدي مولود فال، الذي نشرها في نيجيريا. وحاليا تعتبر الأوسع انتشارا فيما وراء الصحراء. ينظر: بن يوسف التلمساني: **الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني-الأمير عبد القادر-الإدارة الاستعمارية)**، رسالة ماجيستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 02 (أبو القاسم سعد الله)، 1998، ص ص63-71؛ شيخ لعرج: **موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران01 (أحمد بن بلة)، 2017، ص ص23- 28؛ أحمد الأزمي: **الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي**، مطبعة فضالة، المغرب، 2000، ص45-50.

(28) **السنوسية**: نسبة إلى مؤسسها محمد أبو عبد الله بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي الحسني، من قبيلة أولاد سيدي يوسف، عرش أولاد سيدي عبد الله بن الخطاب المجاهري. عالم فقيه صوفي ولد سنة 1787 ببوقيرات بمستغانم. أخذ عن علماء مازونة. درس الفقه والتفسير والحديث والتوحيد وعلوم العربية والمذاهب الإسلامية والمنطق. أسس زاوية بجبل أبي قبيس المطل على الكعبة، ثم رجع إلى برقة بليبيا سنة 1843، حيث أسس أول زاوية له بالجبل الأخضر، وهي "**البيضاء**" مهد حركته. وعام 1854م انتقل إلى زاوية العزبات، ومنها إلى زاوية الجغبوب عام 1857، حيث استقر به المقام إلى أن وافاه أجله عام 1859. ومن أهم مؤلفاته: "**المسائل العشرة**" في موضوع النوازل، و"**بغية المقاصد**

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

في خلاصة المراصد"، و"**الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية**". والسنوسيين يشترون الأرقاء صغارا من الأفارقة ويربونهم في زوايا ويقومون بتعليمهم، ومتى أكملوا تحصيل العلم اعتقوهم وسرحوهم كمبشرين من سواحل الصومال شرقا إلى السواحل السنغامبية غربا بهدف نشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية. ينظر: عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي: **معجم الشيوخ (رياض الجنة)**، ج1، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019، ص105-111؛ محمد أبي راس الناصري المعسكري: **إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم عند علماء المغرب الأوسط**، تحقيق: حمدادو بن عمر وبوسلاح فايزة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018، ص22؛ رأفت غنيمي الشيخ: **دراسات أفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر**، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع، مصر، 2011، ص275، 276.

(29) عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين**، مجلة الأصالة، ص31، 32.

(30) المرجع نفسه، ص28.

(31) **الفرانكفونية**: المعنى الأقدم لكلمة "**Frank**" هو إفرنجي نسبة للقبائل الجرمانية التي احتلت فرنسا في القرن 6م. ومصطلح "**إفرنج**" مرتبط بفكرة "**الاحتلال**". أما المشتقات الحديثة للمصطلح أخذت عدة معان في المعاجم الحديثة، أهمها: الناطق باللغة الفرنسية، والمحب لفرنسا أو الثقافة الفرنسية، والخائف من فرنسا أو المبغض لها. ويعود تاريخ فكرة الفرانكفونية إلى أواخر القرن 19م وصاحبها الجغرافي الفرنسي "**أونسيم ريكلو**" وذكر في كتاباته عام 1889 التعبير عن "**فكرة لسانية وعلاقة جغرافية**"، وتنمية اللغة العربية والديانة الإسلامية معا منذ ذلك التاريخ إلى اليوم أخذت أنماطا مختلفة تحت عناوين مختلفة منها: "**البعثة الفرنسية**" و"**الجمعية العالمية للكتاب باللغة الفرنسية**"، و"**المجلس الأعلى للغة الفرنسية**". وتضطلع الفرانكفونية بنشاطاتها من خلال منظمات وهيئات وجمعيات حكومية وشعبية لتحقيق الأهداف المشتركة للشعوب الناطقة باللغة الفرنسية التي هي أساس الفرانكفونية الدولية، تمثل أداة اتصال بين الثقافات المتباينة واللغات المحلية المختلفة، وليس من الضروري أن تكون البلاد المنضوية في مختلف مؤسسات الفرانكفونية تتشابهو اجتماعيا ووثقافيا وسياسيا واقتصاديا بل إن الاختلاف في الثقافة واللغات يعتبر محركا ومؤثرا لتطويرها، وهكذا بدأ إرهاص الفرانكفونية الدولية إبان اجتماع ثلاث رؤساء أفارقة عام 1960، هم ليوبولد سنغور من السنيغال، ولحبيب بورقيبة من تونس، وهماني ديوري من النيجر، وتكونت مؤسسات وجمعيات حكومية وغير حكومية لخدمة أهداف الفرانكفونية وتنفيذ البرامج المنبثقة عن القمم الفرانكفونية

والهيئات السياسية. وتوجد اليوم 51 دولة تتحدث الفرنسية وهي الدول الفرانكفونية. ينظر: عبد الله بلقزيز: **فرنكوفونية أيديولوجيا، سياسات، تحد ثقافي، لغوي**، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص7-11؛ عبد الله ركيبي: **فرانكوفونية مشرقا ومغربا**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص35-52؛ يوسف بكاري: **في الأدب المقارن مفاهيم وعلاقات وتطبيقات**، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، 2018، ص35-40؛ عبد العلي الودغيري: **لغة الأمة ولغة الأم عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014، ص88-93؛ محمد فضل محمد عبد الخالق وآخرون: **الموسوعة العربية العالمية**، ط2، ج17، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1999، ص350.

(32) **الأنجلو- سكسونيون:** هم أفراد القبائل الجرمانية التي استقرت في إنجلترا خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين هذه القبائل هي الأنجلز والسكسون والجوت، نحو عام 449م دعا ملك بريطاني يدعى فورتجيرن القبائل الجرمانية للقدوم إلى إنجلترا لمساعدته في رد غزو البقط (البكتز) والأسكتلنديين. بحلول نهاية القرن السادس الميلادي استولى الأنجلز والسكسون والجوت على كل إنجلترا تقريبا إلى حدود ويلزا وأسكتلندا. واشتقت كلمة **إنجلترا** من الكلمتين الانجليزيتين القديمتين **أنجل ولاند**، اللتين تعنيان مجتمعتين أرض أنجلز. كانت هناك سبع ممالك الأنجلو- سكسونية رئيسية: نورثمبريان ميرسيا، إيست إنجيليا، إسكس، سسكس، كَنْت وسكس، وكانت تعرف بالدول السباعية. وبحلول عام 829م أخضع إجبرت، ملك وسكس المماليك الأخرى متخذا الخطوة الأولى نحو الوحدة السياسية على الجزيرة. وقام ألفرد الأكبر، ملك وسكس، بدحر المعتدين الدنماركيين عام 878م. وفعل ألفرد الكثير لاستعادة السلام ولتوحيد إنجلترا. وأصح خلفاؤه أول من استخدم ملك كل بريطانيا. ينظر: محمد فضل محمد عبد الخالق وآخرون: المرجع السابق، ج03، ص383.

(33) عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين**، مجلة الأصالة، ص28.

(34) **الزنوجية:** ظهرت النظرية العرقية مع كتاب الحركة الزنجية التي استعملت الفرنسية والانجليزية والعربية للتعبير عن مقاصدها وأهدافها؛ وتأسست كذلك في الحقل الثقافي الأمريكي ضمن ما يسمى بـ: الأدب الأسود. ومن هنا فالحركة الزنجية الإفريقية حاربت المستعمر من أجل نيل الاستقلال، كما تغنت بالحرية والتحرر والانعتاق والهوية، وبالمقابل العبودية والاستغلال وهيمنة الرجل الأبيض. ينظر: نزار شاهين: **مناهج النقد الأدبي المناهج الكلاسيكية**، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، 2013، مصر، ص 122، 123.

(35) **سنغور ليوبولد:** سياسي ورجل دولة وأديب سنغالي، ويعني اسمه الأسد الباسل الذي لا يهاب، وهو من عائلة أرستقراطية ولد سنة 1906، بدأ دراسته في إحدى المدارس الداخلية في السنغال وعشق الفرنسية وأجاد اللاتينية واليونانية، وأكمل دراسته الجامعية في باريس وكوّن صدقات أبرزها

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مع "جورج جان بومبيدو **Georges Jean Raymond**" الذي أصبح رئيسا لفرنسا لاحقا، والشاعر "**ايميه سيزير**" الذي له دور كبير في إبراز شخصية سنغور، وأسس معه مجلة ثورية احتجاجية باسم "**الطالب الأسود**" عام 1934، واكتسب سنغور شهرته العالمية من كتابته للشعر باللغة الفرنسية، أسس عام 1974 مجلة ثقافية اسمها "**الأميرة الإفريقية**"، وحصل على دكتوراه فخرية من 30 جامعة، كما حصل على جائزة نوبل للسلام عام 1968، وتولى رئاسة السنغال في سبتمبر 1960 وفي سنة 1980 قرر أن يستقيل تاركا الأمور لعبده ضيوف Abdou Diouf، ونجح سنغور مع رفيقه مامادو دايا Mamadou Daya في تأسيس حزب "**الكتلة الديمقراطية**"، توفي في 2001/12/25. ينظر: محمود قاسم: **موسوعة أدباء العالم في القرن الـ 21**، ج1، ط1، e-Kutub Ltd، لندن، 2018، ص461، 462؛ عبد الفتاح أبو عيشة: **موسوعة القادة السياسيين عرب وأجانب**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص159؛

Eric Martone: **Encyclopedia of Blacks in European History and Culture**, Vol 2, Greenwood Press, London, 2009, pp482-484.

(36) خليل أحمد خليل: **ملحق الموسوعة السياسية**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص445.

(37) خليل حسن خليل: **السلطنة**، الجزء الثالث من ثلاثية الوسية (مختارات الكرمة) ، دار الكرامة للنشر، القاهرة،2019، ص 277.

(38) "**الملف الثقافي -رحيل شاعر الونوجية ليوبولد سنغور والمشعان** "، مجلة الفيصل، ع305/، يناير-فبراير 2002، ص129.

(39) **ايمي سيزير**: شاعر وكاتب وسياسي فرنسي ولد في 26 جوان 1913 بباس بوانت بالمارتينيك، شغل كرسيا نيابيا في المارتينيك Martinique قرابة خمسين عاما. يعتبر أحد أبرز وجوه تيار "**الزنجية**" في الشعر الفرانكفوني، ورمزا للحركة المناهضة للاستعمار. في عام 1934 أنشأ مع سنغور وعدد من الأصدقاء الأفارقة صحيفة " **L'étudiant noir الطالب الأسود**" فظهر مصطلح الزنجية Négritude أول مرة. انضم ايمي سيزير إلى الحزب الشيوعي، وأصبح نائبا برلمانيا وعمدة لمدينة فور دو فرانس، عام 1945، وبعد 12 عاما من الخدمة ترك الحزب الشيوعي لينشئ حزبه الخاص باسم حزب التقدم المارتينيكي، من أهم مشروعاته محاربة الاستعمار والعنصرية، كان من المطالبين بالحكم الذاتي للمارتينيك وليس باستقلالها، كما ساند الحركات الاستقلالية في دول المغرب العربي والهند والهند

الصينية. من مؤلفاته: "**خطاب حول الكولونيالية**"، و"**مذكرات العودة إلى أرض الوطن الأم**"، و"**الأسلحة العجيبة**"، ومسرحية عن الاستعمار "**تراجيديا الملك كريستوف**"، و"**موسم في الكونغو**" عن باتريس لومومبا Patrice Lumumba. توفي في 17 أفريل 2008 بفور دوفرانس بعد صراع طويل مع مرض القلب. ينظر: محمد فضل محمد عبد الخالق وآخرون: المرجع السابق، ج13، ص393.

(40) محمد طه جواد الساعدي وآسيا عبد القادر عمراني: **الأدب الهامشي - مقاربة نقدية في الأصول والمقولات**، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، 2021، ص184.

(41) محمود أحمد الديك: "**الثقافة العربية بين الواقع والطموح**"، ملتقى الجامعات الإفريقية: التداخل والتواصل في إفريقيا (مستخلصات المؤتمر العلمي الكتاب الأول)، الخرطوم، يناير 2006، ص104.

(42) صالح عبد السلام عبد الله البغدادي: "**اللغة العربية في إفريقيا**"، ملتقى الجامعات الإفريقية: التداخل والتواصل في إفريقيا، ج3، الخرطوم، يناير 2006، ص106.

(43) جون هنويك: "**غرب إفريقيا واللغة العربية**"، ملتقى الجامعات الإفريقية: التداخل والتواصل في إفريقيا (مستخلصات المؤتمر العلمي الكتاب الأول)، الخرطوم، يناير 2006، ص93.

(44) عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين**، مجلة الأصالة، ص35.

(45) فاطمة الزهراء طموح: "**واقع الدراسات الافريقية بالمغرب**"، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998، ص209.